بسم الله الرحمن الرحيم

باب التفسير

يقدمه : عنتر أحمد حشاد

٢ ـ سورة البقرة

أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون (٤٤) واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين (٤٥) الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم اليه راجعون (٤٦) .

لا تزال الآيات تخاطب بنى اسرائيل ، وقد بدأت تبكت الرؤساء والأحبار (١) ـ الذين يتلون الكتاب ، وقد نصبوا أنفسهم لتعليم الناس أحكامه ـ على أنهم يتركون أنفسهم للشهوات والاهواء دون تزكية ولا تطهير ، مع أنهم فى الوقت نفسه يأمرون الناس بالبر والخير ، ويحكمون لهم بالهدى والايمان ، أو يحكمون عليهم بالضلال والكفر : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » .

ويرشدهم الى الطريق الذى يقودهم الى الخير فى أنفسهم وفى جماعتهم : « واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم اليه راجعون » .

---

(١) أحبار اليهود : علماؤهم ، جمع حبر (بفتح الحاء ، أو كسرها) .

ضلال علماء بنى اسرائيل :

« أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » .

كان رؤساء اليهود وأحبارهم وعلماؤهم الذين اطلعوا على التوراة الصحيحة وقرءوها ، وعرفوا مما ورد فيها أن محمدا رسول الله حقا — كانوا يأمرون من آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم ممن تربطهم بهم رابطة قرابة ، أو مصاهرة ، أو رضاع ، ممن يثقون بهم — يأمرونهم سرا بالثبات على دين الاسلام ، لاعتقادهم أنه الدين الحق ، « كان الرجل منهم يقول لصهره وذوى قرابته ولمن بينه وبينهم رضاع من المسلمين : أثبت على الدين الذى أنت عليه ، وما يأمرك به هذا الرجل ، فان أمره حق ، وكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه (١) » فنزلت هذه الآية الكريمة (٢) ، توبيخا من الله تعالى لبنى اسرائيل (٣) ، وتعجيبا من شأنهم كيف يأمرون غيرهم بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ، والثبات على دينه ، ولا يؤمنون هم ؟ والخطاب — وان كان خاصا ببنى اسرائيل — عام من حيث المعنى لكل من يتأتى له الخطاب ، والعبرة — كما يقول علماء الاصول — بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب ، فكل واعظ يأمر بالخير ولا يأتمر ، ويزجر عن الشر ولا ينزجر يدخل فى هذا التوبيخ والتعجيب :

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام (٤) وذى الضنى (٥)
كيما يصح به وأنت سقيم

---

(١) قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما . ارجع الى أسباب النزول للواحدى ، وأسباب النزول للسيوطى . (٢) الآية ٤٤ من سورة البقرة
(٣) فالهمزة فى « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب » للاستفهام المقصود به التوبيخ والانكار والتعجيب ، وهذا التوبيخ ليس على أمر الناس بالبر ، وانما على نسيان أنفسهم وتركها فى الضلال والكفر وهم يأمرون الناس بالايمان والخير ، ويتلون التوراة .
(٤) السقام (بفتح السين المشددة) : طول المرض ، وذو السقام : من طال مرضه . (٥) الضنى : اشتداد المرض المسبب للهزال .

لا تنـــه عن خـــلق وتأتى مثـــــله
عار عليـــك ــ اذا فعلت ــ عظيم

وفى الحديث : يجاء (١) بالرجل يوم القيامة ، فيلقى فى النـــار فتندلق أقتابه (٢) فى النار ، فيدور كما يدور الحمار برحاه ، فيجتمع أهل النار عليـــه فيقولون : أى فلان (٣) ، ما شـــأنك ؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهى (٤) عن المنكر (٥) ؟ قال : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه (٦) » .

والبر : الايمان والعمل الصالح والخلق الكريم ، فهو التوسع فى الخير والطاعات (٧) ، مأخوذ من (البر) بفتح الباء ، وهو الفضاء الواسع ، وأصل كل بر : الايمان بما جاء به رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد كان أحبـــار اليهود يأمرون الناس بالطاعة ، والكف عن المعصية ، ويأمرونهم بالصدقة ولا يفعلون ذلك ، ولذا قال سبحانه : (وتنسون (٨) أنفسكم) : تتركونها فى الضلال دون تزكية وتطهير ، كما يترك الشىء المنسى ، مبالغة فى وصفهم بالغفلة ، وعدم المبالاة بما ينبغى فعله فى حقها .

(وأنتم تتلون الكتاب (٩)) تقرءون التوراة وتدرسونها .

---

(١) بضم الياء وفتح الجيم : مبنى للمجهول ، من الفعل (يجىء) .
(٢) الاقتاب : الامعاء (جمع قتب بكسر القـــاف وسكون التـــاء) ، والاندلاق : الخروج بسرعة ، أى تنصب أمعاؤه من جوفه ، وتخرج من دبره.
(٣) وفى رواية : يا فلان ، والمعنى واحد .
(٤) وفى رواية : وتنهانا .
(٥) والاستفهام فى هذه الجملة استفهام استخبارى .
(٦) الحديث من : باب صفة النار وانها مخلوقة ، من كتاب : بـــدء الخلق ج ٤ من صحيح البخارى .
(٧) وآية البر من هذه السورة (آية ١٧٧) قد جاءت بكثير من انواع البر فى العقيدة ، والعبادة ، والخلق .
(٨) النسيان فى الاصل : السهو الحادث بعد العلم ، ولا مؤاخذة فيه ، ولذا كان المراد به هنا : الترك ، فان أحدا لا ينسى نفسه ، كما فى قوله تعالى: « ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم انفسهم » أى : فلم يقدموا لهـــا ما ينفعها عند الله ، من آية ١٩ من سورة الحشر .
(٩) المقصود بالكتاب : التوراة ، كما قال الجمهور ، وهو الظاهر .

(أفلا تعقلون) قبح صنيعكم شرعا لمخالفته ما فى الكتاب فقد جاء فى التوراة قبح مخالفة الفعل للقول ، وفى القرآن : « يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ،كبر مقتا (١) عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون(٢)» وقبحه عقلا أيضا ، فان الداعية الى الخير ينبغى أن يكون قدوة طيبة فيما يدعو اليه لكى يستجيب الناس له ، ويقتدون به .

الاستعانة بالصبر والصلاة :

« واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين ، الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم اليه راجعون » .

لما أمر الله — تعالى — بنى اسرائيل عامة ، وأحبارهم خاصة بترك الضلال والاضلال ، والتزام الشرائع ، والايمان بالقرآن الكريم ، وكان ذلك شاقا عليهم لما فيه من مخالفة طبعهم ، وحبهم الرياسة والجاه والمال — طلب منهم أن يستعينوا على ذلك كله بالصبر والصلاة ، فانهما كفيلان بتذليل الصعاب وازالة العقبات التى تعترض فى سبيل الهدى والبر المأمور بهما ، وهما الزاد الذى لا بد منه لمواجهة كل مشقة ، وأول المشقات مشقة النزول عن القيادة والرياسة والنفع والكسب احتراما للحق وايثارا له ، واعترافا بالحقيقة وخضوعا لها .

والصبر : ضبط النفس ، والسيطرة عليها ، بحيث تحتمل ما تكره انتظارا للفرج ، وتمتنع عن لذائذها وشهواتها المحرمة ، وتواظب على طاعة الله .

وهو صفة الصالحين ، فهم لا يقنطون من رحمة الله اذا مسهم البلاء ، ولا يطغون اذا مستهم النعماء ، ولا يقصرون فى طاعة ، ولا يندفعون فى معصية .

والصبر دعامة كل عمل صالح ، ومعين على اجتياز المصاعب : صبر على مشقة الطاعات ، وصبر عن ارتكاب المحرمات ، وصبر على مكاره الشدائد والمحن .

---

(١) المقت : أشد البغض .
(٢) الآيتان ٢ ، ٣ من سورة الصف .

وكما يستعان بالصبر ــ يستعان أيضا بالصلاة ، فهى صلة ولقاء بين العبد وربه ، عبادة نفسية وبدنية ، فيها اظهار الخشوع لله ، وكل ذلك يزكى النفس ويقويها على احتمال التكاليف والشدائد .

ولقد استثنى الله تعالى الصابرين الذين يعملون الصالحات من الانسان اليئوس الكفور فى الضراء ، الفرح الفخور فى النعماء ، اذ يقول سبحانه : «ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليئوس كفور، ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى انه لفرح فخور ، الا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير (١) » .

وكذلك استثنى المصلين من الهلوع ، والجزوع (٢) بقوله سبحانه : « ان الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا (٣) ، الا المصلين (٤) » .

ولذا حث الله نبيه وأمته عليها بقوله : « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى » ١٣٢ من سورة طه . وكان النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ اذا حزبه (٥) أمر بادر الى الصلاة .

ويحتمل أن يراد بالصلاة : معناها اللغوى ، وهو الدعاء ، فانه من خير ما يستعان به .

---

(١) يئوس ، وكفور ، وفرح ، وفخور : كلها صيغ مبالغة بوزن : فعول ، وفعل (بكسر العين) من اليأس ، والكفر ، والفرح (بفتح الراء)، والفخر ، والآيات من ٩ ــ الى ١١ من سورة هود .

(٢) الهلوع : صيغة مبالغة ، من (الهلع) وهو : كثير الجزع ، شديد الحرص . والجزوع : صيغة مبالغة من (الجزع) وهو : شديد الحزن اذا مسه الشر ، كما فى آيات سورة المعارج الآتية .

(٣) منوع : صيغة مبالغة من (المنع) وهو : المبالغ فى المنع والامساك والبخل اذا مسه الغنى ، وكثر عنده المال ، لا ينفقه فى طاعة ، ولا يؤدى منه حق الله فيه .

(٤) الآيات من ١٩ ــ الى ٢٢ من سورة المعارج .

(٥) حزبه أمر : نزل به أمر ، واشتد به ، وكان من دعائه ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « اللهم انت عدتى ان حزبت » (بضم الحاء وكسر الزاى فى هذا الدعاء) .

والخطاب موجه الى اليهود بعد دعوتهم الى الايمان والعمل الصالح ، ليجمعوا — الى الايمان المطلوب — هذه العبادات • فكأنه قيل : ولا تكتموا الحق — وهو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم — فأعلنوه وآمنوا به ، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وصلوا مع المصلين من المسلمين ، بعد ايمانكم ، ولا تأمروا الناس بالبر على حين تهملون أنفسكم ، وأول خصال البر والخير هو : الايمان • واستعينوا بالصبر والصلاة على الامر كله •

والخطاب — وان كان موجها أصلا لليهود — له صفة العموم فى الحكم لجميع المسلمين أيضا ، وسيأتى ذلك فى السورة نفسها فى قوله سبحانه : « يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين (١) » •

(وانها لكبيرة الا على الخاشعين) وان الصلاة لصعبة ثقيلة الا على الخاشعين الخاضعين بقلوبهم لله ، كما قال تعالى فى وصف المنافقين : « واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا (٢) » •

أما الخاشعون الذين يرون الصلاة حقا لله تعالى ، وينتظرون حسن الجزاء عليها فانهم يحبونها ، ويسرون بها ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « وجعلت قرة عينى فى الصلاة » •

والخشوع : سكون النفس ، واطمئنان القلب ، والتسليم لاحكام الله ، وأكثر ما يستعمل فيما يظهر على الجوارح ، كما قال تعالى فى وصف المؤمنين المفلحين : « الذين هم فى صلاتهم خاشعون (٣) » •

وأما الخشوع المتكلف — بالتباكى وطأطأة الرأس — فهو مذموم شرعا ، وهو من الرياء ، يفعله الجهال ، منتظرين من الناس الثناء والاجلال • ولهذا قال عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — لشاب نكس رأسه : « يا هذا ، ارفع رأسك ، فان الخشوع لا يزيد على ما فى القلب» •

---

(١) الآية ١٥٣ •
(٢) من الآية ١٤٢ من سورة النساء •
(٣) الآية ٢ من سورة « المؤمنون » •

والصلاة هينة سهلة على الخاشعين الذين يوقنون باليوم الآخر ، ولقاء ربهم ، وأنهم راجعون اليه بالبعث للحساب والجزاء : « الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم اليه راجعون »

والظن ــ فى الاصل ــ معناه : ادراك الطرف الراجح من احتمالين أو أكثر . فهو دون العلم واليقين ، ولكن المراد هنا ــ وفى كثير من آيات القرآن الكريم ــ العلم والتيقن ، اذ أن مجرد الظن لا يكفى فيما يجب الايمان به ، ومنه لقاء الله والبعث ، ونظير ذلك : « انى ظننت أنى ملاق حسابيه (١) » ، « ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا (٢) » .

وهذه الآيات الثلاث ــ وان نزلت فى علماء بنى اسرائيل ــ فالحكم فيها عام ، يشترك فيه علماء الاسلام ، ورجال جميع الرسالات السماوية من قبل ، فهو مبدأ مقرر فيها ، فمن أمر بالبر والخير ينبغى له أن يسبق من يدعوه اليه ، فلا ينسى نفسه وهو يذكر الناس ، فان الدعوة الى البر والمخالفة عنه فى سلوك الداعين اليه هى الآفة التى تصيب النفوس بالشك لا فى الدعاة وحدهم ، ولكن فى الدعوات ذاتها ، وهى التى تبلبل قلوب الناس وأفكارهم ، لانهم يسمعون قولا جميلا ، ويشهدون فعلا قبيحا ، فتتملكهم الحيرة بين القول والفعل ، وتخبو فى أرواحهم الشعلة التى توقدها العقيدة ، وينطفىء فى قلوبهم النور الذى يشعه الايمان ، ولا يعودون يثقون فى الدين ، بعد ما فقدوا ثقتهم بعلماء الدين .

وعلى الداعية كذلك ــ بل على كل انسان ــ أن يستعين بالصبر والصلاة على قهر النفس وتطويعها للبر ، وعلى تحمل مشاق الحياة ومتاعبها وعلى ما يصادفه فى سبيل الدعوة الى الله ، فانهما يمنحان النفس قوة الاحتمال ، ويسهلان لها صعاب الامور : « أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور (٣) » .

عنتر حشاد

(١) الآية ٢٠ من سورة الحاقة .
(٢) الآية ٥٣ من سورة الكهف .
(٣) من الآية ١٧ من سورة لقمان .

تحريم الهجر والخصام بين المسلمين

١ ــ عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تقاطعوا ولا تدابروا ، ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث) متفق عليه .

٢ ــ عن أبى أيوب الانصارى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال : يلتقيان فيعرض هذا ، ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام)متفق عليه.

المفــردات

أنس = هو أنس بن مالك الانصارى الخزرجى قال عن نفسه : قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا ابن عشر سنين . جاءت **أمه** أم سليم به الى النبى صلى الله عليه وسلم ــ وقالت يا رسول **الله**

هذا أنس غلام يخدمك ، فقبله صلى الله عليه وسلم ، شهد بدرا صغيرا، وسبع غزوات أخرى .. قال أنس خدمت النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، فما قال لى أف قط ، ولا قال لى لشىء صنعته لم صنعته ، ولا لشىء تركته لم تركته ؟ ودعا له النبى صلى الله عليه وسلم بالبركة . حينما جاءت به أمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله : هذا أنس ادع له . فقال (اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه).

فكان له بستان يحمل الفاكهة مرتين ، ومات سنة تسعين من الهجرة وعمره نحو المـــائة من السنين . وكان له أولاد كثير ، فقال : دفنت من صلبى مائة وخمسة وعشرين ولدا وذلك باستجابة الله تعالى لدعوة النبى صلى الله عليه وسلم .

أبو أيوب الانصارى = من قبيلة الازد . وكان من الصـــحابة الزاهدين فى الدنيا . ومات فى زمن معاوية بن أبى سفيان .

لا تقاطعوا = من التقاطع وهو ضد التواصل .

لا تباغضوا = من التباغض وهو الكراهية .

لا تدابروا = من التدابر وهو العداوة والاختلاف والتقاطـــع .

الهجر = ضد الوصل والمراد به عدم المكالمة مع الآخر .

المعنى

خلق الله ســـبحانه وتعالى الناس للتعاون لا للتناكر ، وللتواصل لا للتقاطع ، وللاجتماع لا للافتراق ، وللتعاون لا للتخاذل . قال عز وجل (يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)

فالمؤمن أخ لأخيه المؤمن ، والمؤمنون بعضهم أولياء بعض ، متوادون متحابون ، يألف بعضهم بعضا ، لا يعرفون الهجر والعداء ، والبغضاء

والكراهية والتحاسد والتقاطع ، لان ذلك يوجب الفرقة ويمزق الوحدة ويؤدى الى الخصام •

لهذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله سبحانه وتعالى حرم علينا أن يهجر المسلم أخاه المسلم ، بغضا وكراهية له • لانه تربطه به آصرتان : الاولى آصرة الانسانية لان الناس كلهم أبوهم آدم • والآصرة الثانية : رابطة الاسلام التى لا تعلو عليها رابطة •

ولذا قال صلى الله عليه وسلم (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه •• الحديث) — وقال (المسم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا) •

وقال (مثل المؤمنين فى تراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) •

ولا يخفى أن صفات الهجر والتقاطع ، تفكك عروة الاسلام الوثقى التى بينهم ، وتؤدى الى خذلانهم وتمكين العدو منهم ، حتى يصيروا أذلاء بعد عزة ، ويصير الدين الحنيف معطلا بعد نفاذه ، مضغة فى أفواه أعدائه (ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)•

هذا الى أن التشاحن والخصام يجر المتشاحنين الى القضاء حتى تكتظ المحاكم بهم ، فتتعطل مصالحهم وتجاراتهم ومزارعهم ولا حول ولا قوة الا بالله •

وقد بين النبى صلى الله عليه وسلم أن الهجر هو الاعراض عند اللقاء ، فيتولى كل منهما بوجهه عن أخيه ليشفيا بذلك أنفسهما ، ويرضيا به شياطينهما ، وغاب عنهما أنه تمزيق لشملهما وتقطيع لاوصالهما ، واغضاب لربهما ، واستنزال لمقته وسخطه •

ولكن باب التوبة مفتوح والله يقبل من رجع اليه منهما وأفضلهما

عند الله وأقربهما الى عفوه ورحمته هو أسرعهما الى التسامح والمصافاة والبدء بالتحية والسلام •

أما الهجر فيما دون ثلاثة أيام فانه جائز ، والحكمة فى ذلك أن الانسان فى اليوم الاول يسكن غضبه ، وفى الثانى يراجع نفسه ، وفى الثالث يعتذر لاخيه ، وما زاد على ذلك فانه يكون قطعا لحقوق الاخوة الاسلامية التى ربط الله بها على المؤمنين •

وأما اذا خاف الانسان على دينه ، أو توجس خيفة على نفسه ، جاز الهجر • ولذا كان الهجر تأديبا للزوجات حيث قال الله تعالى (واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) •

كما أمر رسوله بالصبر والهجر الجميل فقال (واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا) •• وقد هجر رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك وصاحبيه خمسين يوما حينما تخلفوا عن غزوة تبوك بدون عذر •

وبهذه المناسبة نذكر قصة رواها البخارى لعائشة مع ابن اختها عبد الله بن الزبير لما فيها من الادب الجم :

عن عائشة رضى الله عنها أن عبد الله بن الزبير قال فى بيع أو عطاء أعطته عائشة : والله لتنتهين عائشة ، أو لأحجرن عليها •

فقالت : أهو قال ذلك ؟ قالوا نعم • قالت : هو لله على نذر ألا أكلم ابن الزبير أبدا • فاستشفع ابن الزبير اليها حين طالت الهجرة • فقالت لا ، والله لا أشفع فيه أبدا ، ولا أحنث فى نذرى • فلما طال ذلك على ابن الزبير كلم المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الاسود • وهما من بنى زهرة • وقال لهما : أنشد كما بالله لما أدخلتمانى على عائشة• فانه لا يحل لها أن تنذر قطيعتى — وهى خالته — فأقبل به المسور

وعبد الرحمن مشتملين بأرديتهما ، حتى استأذنا على عائشة • فقالا السلام عليك ورحمة الله وبركاته • أندخل ؟ قالت عائشة : ادخلوا • قالوا كلنا ؟ فقالت نعم ادخلوا كلكم • ولا تعلم أن معهما ابن الزبير • فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب • فاعتنق عائشة وطفق يناشدها ويبكى • وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدانها • الا كلمته وقبلت منه• ويقولان ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عما قد علمت من الهجر • وانه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال • فلما أكثروا على عائشة من التذكرة والتذكير بفضل صلة الرحم والعفو وكظم الغيظ — طفقت تذكرهما وتبكى وتقول انى نذرت والنذر شديد • فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير وأعتقت فى نذرها ذلك أربعين رقبة • كانت تذكر نذرها بعد ذلك • فتبكى حتى تبل دموعها خمارها) •

وفى هذه القصة عدة مسائل :

الاولى أن نذرها من قبيل نذر المعصية وهو لا ينعقد •

الثانية أنه ما كان ينبغى لأم المؤمنين أن تلجأ الى الهجر المحرم •

ولكن ابن الزبير أخطأ فى حق عائشة خطأ ينتقص من قدرها ونسب اليها ارتكاب ما لا يجوز من التبذير المؤدى لمنعها من التصرف فيما تملك بالاضافة الى ذلك كونها من أمهات المؤمنين ، كما أنها خالته أخت أمه فكان تصرفه معها واعتزامه الحجر عليها نوعا من العقوق • فرأت رضى الله عنها ان تعاقبه بترك مكالمته وعلى هذا يحمل هجر عائشة على نوع مأذون فيه • ومع ذلك فقد كفرت عن نذرها •

فتأمل أيها الاخ الكريم أدب الصحابة مع أم المؤمنين ، وكيف كان حرصهم على مرضاتها ، ثم ما كان منها الى التسامح والوفاء بنذرها • وكيف بكت لما فاتها ، وكيف جاءت بأربعين رقبة حررتها كفارة عن نذرها ثم تأمل حرصها على شرائع الدين وكيف كانت تبكى بكاء شديدا على نذرها الذى لم تف به ، فكفرت عنه بأربعين رقبة •

نسأل الله أن يرزقنا آداب الصحابة وأن نسير على نهج من علمهم وأرشدهم نبينا صلى الله عليه وسلم • **محمد على عبد الرحيم**

الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله)

وحقيقة دعوته

بقلم سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد
رئيس مجلس القضاء الأعلى بالمملكة العربية السعودية
والرئيس العام للإشراف الديني على المسجد الحرام

الحلقة الثالثة

أثر الدعوة فى البلاد النجدية :

لقد كان لهذه الدعوة المباركة آثار كبيرة على منطقة نجد نذكر بشيء من الايجاز بعضها ليطلع القارىء الكريم ويقارن بين الواقع الذى تعيشه نجد بعد الدعوة والدعاية المغرضة التى سارت بهـا الركبان أيقافا لمسيرتها المباركة :

١ ــ قضت هذه الدعوة قضاء تاما على ما كان شائعا فى نجد من الخرافات والشعوذات ، وتعظيم القبور والنذر لها ، والاعتقاد فى بعض الاشجار والاحجار ، وأحيت معالم الشريعة بعد اندثارها .

٢ ــ رجع أهل نجد الى التوحيد الخالص من شوائب الشرك والوثنية ، وتخلصوا مما يناقض التوحيد بالكلية أو ينافى كماله الواجب أو ينقص ثوابه ، كما حكموا الشريعة المطهرة فى جليل الامور ودقيقها .

٣ ــ كانوا متفرقين لا تجمعهم رابطة ولا يجمعهم حكم شرعى ، بل كانوا فى حالة تفرق واختلاف تطحنهم الحروب ، وتشتت شـملهم النزعات والنعرات فوحدت هـذه الدعوة كلمتهم على الحق وجمعت شملهم وجعلتهم تحت راية واحدة (لا اله الا الله محمد رسول الله) وأخضعتهم لسلطان واحد يسوسهم بكتاب الله العزيز وسنة رسـوله المطهرة .

٤ ــ كانوا يعيشون حياة جهل وعزلة عن الناس حتى وصل بهم الحال الى الاعتقاد بالاشجار والغيران المظلمة فانتشلتهم هذه الدعوة

المباركة من حياة الجهل الى نور العلم والدين والخير ، فانتشرت فيهم علوم التفسير والحديث والتوحيد والفقه والنحو والسير والتواريخ ، فظهر فيهم راسخون فى العلم غمروا البلاد بمؤلفاتهم فانتشرت فى أنحاء الجزيرة وكانت سببا فى هداية كثير ممن اطلعوا عليها وأدركوا حقيقة الدعوة وصفاءها ..

٥ ــ انتشر الامن فى ربوع البلاد حتى ان السائر فى صحاريها وقفارها يسير الليالى الطوال لا يخشى الا الله ..

انتشار الدعوة فى الخارج :

لقد كان من أهم أسباب انتشار الدعوة فى الخارج استيلاء أهل الدعوة على مكة المكرمة عام ١٢١٨ هـ فصار الحجاج ولا سيما طلبة العلم منهم يخالطون علماء الدعوة ويسمعون منهم الخطب والمواعظ ويتلقون منهم الدعوة الصادقة والعقيدة الصافية التى تذكرهم بما ينقل عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين والقرون المفضلة ، كما خبروا سيرة الدولة السعودية والدعوة فيها فأدركوا حقيقة الدعـــوة فكانت النتيجة أن تأثروا بما سمعوا وشاهدوا فأخذوا ينشرون فى بلادهم التوحيد ويحاربون الخرافات ويقاومون القبوريين الداعين الى تقديس القبور وبناء القباب عليها ..

وقد انتشرت الدعوة فى بلدان كثيرة منهـــا نيجيريا والســـودان والهند والباكستان وأندونيسيا والعراق والشام ومصر والجزائر وعمان ولا أطيل بذكر أسماء الذين حملوا هذه الدعوة الى الاقطار المذكورة والسبيل الذى سلكوه فى ذلك وما واجههم من عقبات وما حالفهم من انتصارات .. بل يكفى أن نقول .. ان كل دعوة اصلاحية ثائرة على البدع والخرافات والشعوذات الى يومنا هذا توصف بأنها وهابية : وكفى بذلك فخرا وصدقا على نسبة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) .. وبالجملة فقد كان لهذه الدعوة المباركة أثر عظيم وخطير فى العالم الاسلامى من نواحى مختلفة ، وكانت الشعلة الاولى لليقظة الحديثة فى العالم الاسلامى كله .. استضاء بنورها زعماء الاصـــلاح فى كافة أقطار العالم الاسلامى .. ولا يبالغ من يقول ان كل الحركات الاصلاحية مدينة للدعوة الوهابية .. **عبد الله بن محمد بن حميد**

شخصية الرسول بلا تفريط ولا إفراط

بقلم: محمد عبد الله السمان

يقول الفيلسوف الروسى : تولستوى :

« مما لا ريب فيه أن محمدا من عظام الرجال المصلحين .. الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة .. ويكفيه فخرا : أنه هدى أمة برمتها الى نور الحق .. وفتح لها طريق الرقى والمدنية .. وهو عمل عظيم لا يقوم به الا رجل أوتى قوة » .

ويقول الفيلسوف الانجليزى : كارليل :

« أى دليل نبغى على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يدعيه من النبوة ، أكبر من أن يأتى الناس بدين يهديهم ، ويدفعهم فى طريق الحيـــاة الفاضلة .. ؟

وهذا فيلسوف انجليزى آخر ، هو الكاتب برناردشو .. يقول :

« يجب أن يدعى محمد صلى الله عليه وسلم منقذ الانسانية .. وانى لأعتقد بأنه لو تولى رجل مثله دفة العالم لنجح فى حل مشكلاته، بطريقة تجلب الى العالم السلام والسعادة اللذين هو فى أشد الحاجة اليهما . » .

أما المؤرخ المعروف ، جوستاف لوبون ، فيقول فى كتابه : حضارة العـــرب :

« اذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم ، كان محمد أعظم من عرفه التاريخ » .

وأما العالم السويسرى مسيو مونتيه الذى قام بترجمة القرآن الكريم ، فيعجب فى مقدمته من ايمان النصارى فى أوربة بأنبياء بنى اسرائيل ، وعدم ايمانهم بنبوة محمد ــ صلوات الله وسلامه عليه ..

هذا ما يقوله عقلاء المفكرين من غير المسلمين ، عن شخصية الرسول ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ وهم أناس درسوا الاسلام ونبى الاسلام على بصيرة ، فجاءت كلماتهم عن شخصية محمد ــ عليه السلام ــ كلمات لها وزنها ليس فيها شىء من الخيال أو الغلو ، وكنا ــ نحن المسلمين ــ أحق بهذا منهم ، ولدينا كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، ولدينا سنة نبينا الصحيحة المعتمدة ، فاذا أردنا الكلام عن محمد عليه السلام ، فليكن هذان المصدران مرجعا لنا واماما وقدوة لاقوالنا وكتاباتنا . . .

فى الصيف الماضى كنت فى معسكر للشباب المسلم فى مدينة أبها بالسعودية ، ضم شبابا عديدا مسلما من شتى أنحاء أوربا وأمريكا ، وجرى حوار بين مذيع وشاب من سويسرا ، سأله المذيع عن كيفية اعتناقه الاسلام ، وعن الكتب الاسلامية التى قرأها ، ثم سأله : أى الكتب أثر فيك ودعاك الى الاسلام ؟ فأجاب الشاب : « ليس هذا بسؤال ، فالمفروض أن أول كتاب أثر فى ، ودعانى للاسلام ، هو كتاب الله عز وجل» وأصبنا بشىء من الخجل ، فنحن نطرح جانبا كتاب الله عز وجل ونهرع الى كتب غلاة المتصوفة ، نستقى فهم معرفتنا برسول الله ــ صلوات صلوات الله وسلامه عليه ..

وتعالوا بنا الى ما يقوله كتاب السيرة المحمدية وبعض علماء المسلمين ، لندرك الفرق الشاسع بين عقولنا وعقول الاجانب عن الاسلام وقد مر بنا طرف من أقوالهم ، يقول القاضى عياض فى كتابه «الشفاء» (ان محمدا أوتى قوة أربعين رجلا فى الجماع) وفى مكان آخر ، أنه صلوات الله عليه ــ كان يمر على سائر زوجاته ــ أى يباشرهن ــ فى وقت يعدل قراءة كذا آية . . . ويروى عن أنس : « فضلت على الناس

بأربع : السخاء ، والشجاعة ، وكثرة الجماع ، وقوة البطش » !

ولك أن تتصور كيف نقدم بأيدينا مادة دسمة لخصوم الاسلام من المبشرين الحاقدين ليردوه علينا فى كتبهم تشويها لصورة الاسلام ونبى الاسلام المشرقة ، ولم نحاول أن نفقه أن زواج الرسول ــ عليه السلام ــ بأكثر من واحدة ، لم يكن الا لعوامل اقتضتها السياسة العليا للدعوة ، بالاضافة الى دوافع انسانية محضة ، اقتضتها انسانية الرسول نفسه ، والا فما كان أغناه ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن أن يظل مع السيدة خديجة أكثر من ربع قرن ، وقد تزوجها فى سن الاربعين ، بينما كان هو فى شرخ الشباب فى الخامسة والعشرين ، ولم يتزوج غيرها الا بعد أن لحقت بربها . . وما كان أغناه عليه السلام عن أن يتزوج العجائز اللاتى بلغن سن اليأس من أمثال : أم سلمة . . وما كان أغناه ــ عليه السلام ــ بعد ذلك عن مهاجمة المبشرين له ، بأنه رجل شهوانى كانت غاياته تلتقى عند حد التمتع بأكبر عدد من النساء . . !

ويقول القاضى عياض أيضا :

ان الرسول عليه السلام كان اذا أراد قضاء حاجته فى الخلاء ، تجمعت الحجارة والاشجار لتستره . . وتارة يقول : انه اذا أراد أن يتغوط انشقت الارض فابتلعت غائطه وبوله ، وفاحت لذلك رائحة طيبة ، لان الارض تبتلع ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شىء ، ثم يقول : ان قوما من أهل العلم قالوا بطهارة هذين الحدثين منه صلوات الله وسلامه عليــه . .

ويفسر القاضى عياض قول الله تعالى : الله نور السموات والارض: **الله نور السموات ، ومحمد نور الارض . . ويدعى أن رجلا شاهد فى خراسان مونودا ، على أحد جنبيه : لا اله الا الله ، وعلى الآخر : محمد رسول الله ، ويدعى أيضا : أن فى الهند وردا أحمر ، كتب عليه باللون الابيض : لا اله الا الله ، محمد رسول الله . .**

وحدث عن البيهقى فى دلائل النبوة ــ ولا حرج ، فهو يقص علينا: أن العباس قال للرسول عليه السلام :

« دعانى الى الدخول فى دينك أمارة لنبوتك • • رأيتك فى المهد تناغى القمر ، وتشير اليه ، فحيث أشرت اليه مال ، قال ، قال صلوات الله عليه : انى كنت أحدثه ويحدثنى ويلهينى عن البكاء ، أسمع وجبته حين يسجد تحت العرش » •

ان رائحة الوضع فى هذه القصة لا يحتاج الى جهــد ، واذا جاز للرواية أن تمت الى الحقيقة بصلة ، فلماذا لم يبادر العباس بايمانه برسالة ابن أخيه ، ويعلن اسلامه ؟

فالمعروف أن العباس أسلم متأخرا ، وفى غزوة بدر كان فى صفوف المشركين ، وممن نهى رسول الله المسلمين عن قتلهم من بنى هاشم ، لانه مكره على شركه ، ولم يهاجر الا وجيش المسلمين فى طريقه الى فتح مكة • •

* * *

وبعد • •

فانه لمن دواعى الاسف أن يشتط بالبعض الغلو فى شخصية رسول الله ، مع أنه ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ نهى عن مثل هذا الغلو ــ كما جاء فى صحيح مسلم : « لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم • انما أنا عبد الله ورسوله » •

وانه لمن دواعى الاسف أيضا ، ألا ننصف نحن شخصية الرسول ، ونطالب غيرنا بانصافها ، وأن نقدم للمبشرين الحاقدين بأيدينا مادة يحولونها الى سهام يوجهونها الى صدر الاسلام ، وسيرة نبى الاسلام!•

محمد عبد الله السمان

مثل من التهريج الصوفى

بقلم : رئيس التحرير

ان دين الله عز وجل واضح كل الوضوح فى كتابه الكريم وفى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن الأمور المسلم بها فى هذا الدين أنه يمنع بناء المساجد على المقابر أو العكس أى دفن الموتى فى المساجد . فقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من يفعلون هذا وبين أنهم من شرار الخلق عند الله .

وكذلك يمنع الاسلام مظاهر التهريج المتمثلة فى الموالد بما فيها من مباءات ومفاسد لا تخفى على أحد ، وليس من الاسلام أيضا هذه الحلقات الراقصة التى يسمونها ذكرا .

واذا كانت الطرق الصوفية تشجع اقامة الموالد ودفن موتاهم فى أماكن العبادة ، فان ذلك أدى فعلا الى الشرك بالله عن طريق دعاء هؤلاء المقبورين وندائهم من دون الله والاستغاثة بهم .

وعندما نوجه نقدنا لهذه الامور الشركية التى تمس عقيدة التوحيد يروج عنا أرباب الطرق الصوفية زورا وظلما أننا نكره أولياء الله . وولى الله فى مفهومهم هو كل مقبور فى مسجد أيا كان هذا المقبور ، حتى ولو كان طفلا غير مكلف ، المهم هو ما يعود على هيئات المنتفعين من صناديق النذور الملحقة بهذه المقابر .

وحتى يعلم القارىء الحقيقة من مصدرها فاننا ننشر له هذه الدعوة التى وجهتها احدى الطرق الصوفية للرجال والنساء أيضا لحضور مولد من سموه بولى الله أشرف الرفاعى الحسينى وهو — كما ترى من صورته — طفل لم يبلغ الرابعة أو الخامسة من عمره ، وبعد أن جعلوا منه وليا لله يبلغ بهم التهريج أن يجعلوه عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا هو سيدهم أشرف ، ومن يدرى ... فقد يأتى بعده سيدهم ميمى وسوسو وتوتو وفيفى ولا حول ولا قوة الا بالله .

بسم الله الرحمن الرحيم

قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى

(صدق الله العظيم)

دعوه

(الريحانة الزكية)

ولى الله أشرف الرفاعى الحسينى

أيها الأخ والأخت الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فقد حل موعد لقائكما بمولد ولى الله

اشرف الرفاعى الحسينى

عترة رسول الله ﷺ

ولهذا

فسوف تحتفل إدارة ضريحه الطاهر بإحياء مولده إبتداء من أول شهر رجب عام ١٣٩٨ هـ الموافق ٧ يونيه عام ١٩٧٨م ، إمتداداً لمدة خمسة عشر يوماً تنتهى يوم ١٥ رجب عام ١٣٩٨هـ الموافق ٢١ يونيه عام ١٩٧٨م

(حيث تقام حلقات الذكر والاناشيد الصوفية المباركة)

وسوف يشهد جمعكم موكبه الصوفى عقب صلاة العصر مبتدأ من مسجد الامام الشافعى إمتداداً حتى ضريحه بجوار مسجد بن عطا الله السكندرى وذلك فى يوم احتفاله بالليلة الختامية وكل عام والأمة الاسلامية بخير والامل عدم التخلف ؟

القائم على إدارة الضريح

الشيخ جابر محمد رضوان

نائب السادة الرفاعيه

استمرار الدعوة إلى الإسلام وأثر ذلك فى قوة المسلمين وعزة الإسلام

بقلم : الدكتور ابراهيم ابراهيم هلال

الأصل فى نظام الكون وقيادة العالم أن يكون المسلمون هم القادة لان الله سبحانه وتعالى لا يرضى لعباده الا أن يحكموا بحكم الله وبدين الاسلام كما قال تعالى : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (الصف : ٩) أى أنه يجب أن يحكم كل الناس بشريعة الاسلام ولو كره المشركون أعداء الاسلام ، لأن شريعة الاسلام هى الشريعة العادلة وهى التى تحقق الامن والعدل لخلق الله وعباده دون بقية الاديان الاخرى غير السماوية أو التى بدلت ونسخت . وهذا مظهر كرم من الله على عباده ولو لم يؤمنوا به أو لم يتبعوا شريعة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، كما قال تعالى « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » (البقرة : ٢٥٦) .

فالله سبحانه وتعالى لا يكلف المسلمين وقادة الاسلام أن يطلبوا من غير المسلمين أكثر من أن يمكنوهم من اظلالهم بشريعة الله وعدله ، والحكم فيهم بما أنزل الله ، كما قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فى شأن أهل الكتاب : « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك » (المائدة : ٤٩) وهذه هى رسالة المسلمين التى كلفهم الله بها ما داموا مسلمين ، وما داموا يعلنون انتماءهم الى دين الاسلام أن يدعوا غير المسلمين الى الاسلام وأن يعملوا على نشره فى بقاع الارض ، تحقيقا لقوله تعالى « ولتكن

منكم أمة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » وقوله تعالى « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم سهيدا » •

وقد بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الرسالة ، وهذا الاصل فى رسالته صلى الله عليه وسلم ، بدعوته رؤساء العالم وملوكه فى وقته الى الاسلام عن طريق كتبه ورسائله اليهم كما عرف ذلك فى كتب الحديث الشريف وكتب السيرة النبوية وكتب التاريخ الاسلامى وغير الاسلامى ، فمنهم من أجاب كالنجاشى ملك الحبشة ، ومنهم من رد ردا غير حميد ككسرى ملك الفرس وبعض أتبـــاعه ، فكان يقتضى ذلك أن يتطور الامر من مسالمة فى الدعوة الى منازلة وقتال ، حيث صار هؤلاء أعداء للبشرية بحجبهم ومنعهم عدل الله وشريعة الله عن عباد الله ، فصاروا بذلك أعداء للبشرية الى جانب كونهم أعداء لله ، ولذلك حق عليهم السيف نظير ازاحة ظلمهم وقهرهم عن عباد الله •

وقد حقق المسلمون الاولون هذا الاصل فى الاســـلام وفهموه ، وعملوا له ابتداء من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانوا تحت لوائه فى هذه الدعوة ، ثم من بعده حيث تحملوا الحكم والخلافة عنه ، واتجهوا الى بلاد الله يفتحونهـــا ، والى عبـــاد الله يهدونهـــم ويرشدونهم •

وننظر الى القرآن الكريم فنجده يؤكد هذه الدعوة فى اتجـــاهه بالنداء الى أهل الكتاب : « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضـــا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » • (آل عمران : ٦٤) •

وفى صدد المجادلة لهم يأمرنا بأن نقول لهم : « آمنا بالذى أنزل الينا ، وأنزل اليكم • والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون » • (العنكبوت : ٤٦) •

وكما أن الدعوة الى الايمان بالله وحده ، فهى دعوة أيضا الى

الايمان بوحدة الانبياء وأنهم كشخص واحد ، لأنهم جاءوا بدين واحد هو الاسلام : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته ، وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله »(البقرة:٢٨٥)

فاذا لا بد من تخلى أهل الكتاب عن الجمود على الرسالات السابقة وخاصة اذا كانت تأمرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم •

هذه هى الدعوة الى الاسلام ، وهذه هى حقيقتها وموقف المسلمين جميعا منها •

والجدير بالتدبر فى هذا الأمر أننا نجد المسلمين كانوا أعزة ، وكانت لهم الكلمة العليا طيلة قيامهم بهذه الدعوة على الوجه الاكمل ، فما قوى الاسلام فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بالدعوة وبثبات الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك فقد كان المسلمون يزدادون قوة يوما بعد يوم ، وكذلك بعد عهده صلى الله عليه وسلم نجد أنه كلما أوغل المسلمون فى أرض الله لنشر دين الله ، ازدادت قوتهم ونمت أموالهم ، وعلت كلمتهم •

ومرجع ذلك أن دعوة الاسلام خصبة فى طبيعتها ، فاذا اعتنقها من يؤمنون بها وفدوها بأرواحهم ، ودعوا غيرهم اليها ، نظر الناس فيها وفى القائمين على أمرها فبهرتهم وبهروهم بقوتهم النفسية والدنيوية وبقوة عددهم وعلو شأنهم وعزة كلمتهم ، فلم يملكوا أنفسهم من الانضمام اليها ، والانضواء تحت لوائها ، وهذا هو سر دخولهم فى دين الله أفواجا ، واسلام هذه الملايين من أهل البلاد المفتوحة طواعية واختيارا •

فاذا أراد مسلمو اليوم عزة وقوة ، فليسلكوا هذا السبيل ، وليرجعوا الى طريقة الأوائل فى الالتزام بالدعوة الى الاسلام ومداينة الله سبحانه وتعالى على ذلك ، فان فى التصدى الى دعوة الغير الى الاسلام ، أخذ بالنفس أولا بالتمسك بالدين ، وتطبيقه فى المجتمع المسلم ، وحكمه بما أنزل الله ، وفى ذلك بعث للرفات الذى طال رقاده ، وتقوية للأمة الاسلامية فى دينها ، كما أن فى هذا التصدى للدعوة أيضا ، عمل على تقوية الامة والجيش ، والاخذ بيدها الى طريق النماء والانتاج

اعتبارا منها بألا قوة الا بقوة المرافق ووفرة الغنى والمـــال ، وبألا قوة الا باعداد الجيش ، وهذا هو الذى بينه الله سبحانه فى قوله : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم ، لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » (الانفال : ٦٠) .

وهذا أمر طبعى لمن يتصدى لدعوة غيره الى مبدأ من المبادىء مع تصميمه على دخول أرضه وفتح بلاده عند عدم الاستجابة لدعوته ، ودعوة الله أولى بهذا الاعداد والاستعداد .

وهذا هو توجيه الله سبحانه لنا حين يأمرنا بالدعوة الى الاسلام. فليتجه المسلمون الى ذلك من الآن ، وليعرفوا أن هذه هى رسالتهم الى العالم وواجبهم الذى يحتمه عليهم دينهم نحو البشر ونحو عباد الله ، ولا يقعدن بهم عن هذا المبدأ ما يحسون به الآن من ضعف ، فانهم اذا اتجهوا الى تنفيذ ذلك فسيجدون القوة والحياة بدأت تدب فى نفوسهم .

ومن قبل لم يستكن ابن تيمية فى عصور ضعف الاسلام ولم يحس بأنه لا دعوة الى الاسلام ، ما دام المسلمون ضعفاء ، بل وجد أن هذا مبدأ يجب أن لا يهمل مهما تكن ظروف المسلمين ، ومهما يحل بهم من وهن ، لأن فى التصـــدى الى ذلك خروج من الضعف الى القوة ، ومن الاحتلال الى الغلبة والسطوة ، فنجده يوجه الدعوة الى الاسلام والى ملك قبرص على طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعوته الملوك والرؤساء الى الاسلام . وذلك فى رسالته المعروفة بالقبرصية ويقول له بعد أن أوضح له حقيقة ما عليه النصارى : « فان كان عند الملك من يثق بعقله ودينه ، فليبحث معه عن أصول العلم ، وحقائق الاديان ، ولا يرضى أن يكون من هؤلاء النصارى المقلدين الذى لا يسمعون ولا يعقـــلون ان هم الا كالأنعام ، بل هم أضل سبيلا ، وأصل ذلك أن تستعين بالله ، وتسأله الهداية وتقول : اللهم أرنى الحق حقا وأعنى على اتباعه وأرنى الباطل باطلا ، وأعنى على اجتنابه ، ولا تجعله مستبهمـــا على فأتبع الهوى . وقال : اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل ، فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيـــه

يختلفون ، اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك ، انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم » •

فلا يلهينا عن هذه الدعوة ولا يقعد بنا عن النهوض بها ضعف المسلمين اليوم وقوة أعدائهم ، فان الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿لايغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد ، متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد • لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ، نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار) • ثم يقول لنا : (يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ، ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) • آخر سورة آل عمران •

وبعد •• فلنعلم أنه ما أضعف المسلمين ، وجعلهم طعمة للأجنبى على مر عصور الضعف الا قعودهم عن الدعوة الى الاسلام ، وتوقفهم عن الفتوحات ، ونسيانهم أن ذلك أصل من أصول الدين وعقيدة الاسلام فبدأوا يتوقفون عند الحدود التى وصلوا اليها ، وقنع الأخلاف بما فتحه لهم الاسلاف وكان هذا أول نسيانهم لله وخمود العقيدة فى نفوسهم ، فأهملوا أمر الحرب والاعداد لها ، وانصرفوا الى حياة الترف والدعة ، وتركوا العلم والعمل ، والتنمية والانتاج ، والنظر فى شئون المرافق ، غير عابئين بالعدو الذى يحيط بهم ، وما يدبره لهم من كيد •

والحقيقة التى وصلنا اليها بعد طوال البحث والاستقراء ، أن عدو الله عدو لأحباء الله على الدوام ، وموقفه معهم هو موقف المتنمر الذى ينتظر الفرصة للانقضاض على فريسته وحاله معهم على الدوام هو اما أن يقضوا عليه ، واما أن يقضى عليهم ، ولا وسط ، ولا معايشة سلمية كما تقتضيها أصول الجيرة • ولهذا شرع الله سبحانه الدعوة الى الاسلام وشرع الفتح والجهاد ، لان مصلحة العباد جميعا تقتضى أن لا تكون هناك الا قوة واحدة فى الارض ، ولا يريد الله هذه القوة الا قوة الاسلام وحاكم الاسلام ، واما أن يكون أهل الارض بعد ذلك جميعا مسلمين ، أو خاضعين لحكومة المسلمين مشمولين برعاية الحاكم وعدل المسلمين •

« هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » •

- ٩ -

وعدت القراء الكرام فى مقالى السابق أن أحدثهم عن الوسيلة التى ارتضاها الله تعالى لعباده ليتقربوا بها اليه ، ويطلبون بها منه قضاء الحاجات ورفع الدرجات فأقول وبالله التوفيق :

قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون) : ٣٥ ــ المائدة .

فهذا نداء من الله العلى الكبير لعباده المؤمنين أن يتقوا غضبه وعذابه بفعل ما أمرهم به واجتناب ما نهاهم عنه ، وأن يبتغوا اليه الوسيلة التى توصلهم الى مرضاته وتدخلهم جناته وأن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم لنصرة دينه واعلاء كلمته حتى يكونوا من المفلحين فى الدنيا والآخرة .

وابتغاء الوسيلة : هو الاخذ بالاسباب الموصلة الى الغاية التى يرجوها كل مؤمن وهى القرب من الله سبحانه والفوز برضوانه .

قال قتادة رحمه الله فى معنى : (وابتغوا اليه الوسيلة) أى : تقربوا اليه بطاعته والعمل بما يرضيه .

وقال ابن كثير رحمه الله فى تفسيره : الوسيلة هى التى يتوصل بها الى تحصيل المقصود والوسيلة أيضا : علم على منزلة فى الجنة ، وهى منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وداره فى الجنة ، وهى أقرب أمكنة الجنة الى العرش ، وقد ثبت فى صحيح البخارى من طريق محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته ، حلت له الشفاعة يوم القيامة) . أهـ .

وقال الراغب فى مفردات القرآن : الوسيلة : التوصل الى الشىء

برغبة ، وهى أخص من الوصيلة لتضمنها معنى الرغبة قال تعالى : (وابتغوا اليه الوسيلة) .

ثم قال : حقيقة الوسيلة الى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحرى أحكام الشريعة وهى كالقربة ، ثم قال : والواسل : الراغب الى الله تعالى . اهـ .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فى قول الله عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) قال : فابتغاء الوسيلة الى الله انما يكون لمن توسل الى الله بالايمان بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ واتباعه .

ثم قال : وهذا التوسل بالايمان به ـ أى برسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وطاعته فرض على كل أحد فى كل حال باطنا وظاهرا فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد مماته ، فى مشهده ومغيبه ، لا يسقط التوسل بالايمان به وبطاعته عن أحد من الخلق فى حال من الاحوال بعد قيام الحجة عليه ولا بعذر من الاعذار ولا طريق الى كرامة الله ورحمته والنجاة من هوانه وعذابه الا التوسل بالايمان به وبطاعته اهـ .

وأقوال العلماء فى هذا المعنى كثيرة ، وكلها تدور حول تفسير « الوسيلة » بما يتوصل به الى رضوان الله عز وجل بما شرعه لعباده من أنواع الطاعات والقربات والتى تكون سببا فى قبول الدعاء وتفريج الكروب (انما يتقبل الله من المتقين) ـ ٢٧ : المائدة .

روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الله تعالى قال : من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الى عبدى بشىء أحب الى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه) .

وقد جاء مصداق ذلك فيما رواه البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

(انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت الى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا : انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم ــ أى : متوسلين اليه بأعمالكم الصالحة .

قال رجل منهم : اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فنأى بى طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلا أو مالا فلبثت والقدح على يدى أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون ــ أى : يصيحون من الجوع ــ عند قدمى فاستيقظا فشربا غبوقهما . اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء مرضاتك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه.

قال الآخر : اللهم كانت لى ابنة عم كانت أحب الناس الى ــ وفى رواية : كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء ، فأردتها على نفسها فامتنعت منى حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومئة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها ، وفى رواية ــ فلما قعدت بين رجليها قالت : اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه ، فانصرفت عنها وهى أحب الناس الى وتركت الذهب الذى أعطيتها ، اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها .

وقال الثالث : اللهم انى استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذى له وذهب ، فثمرت أجره ــ أى : نميته ــ حتى كثرت منه الاموال فجاءنى بعد حين ، فقال : يا عبد الله أد الى أجرى فقلت : كل ما ترى من أجرك : من الابل والبقر والغنم والرقيق . فقال: يا عبد الله لا تستهزىء بى فقلت : لا أستهزىء بك ، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا ، اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون) .

والى حديث آخر والله المستعان ..

عبد اللطيف محمد بدر

الدولة الدسوقية البرهانية الجديدة

بقلم فضيلة الشيخ محمد جمعة العدوى

الحلقة الرابعة

لكى يسبغ « الدراويش » على رجالهم القداسة والتأله فانهم يختلقون روايات عن معجزات وكرامات ينسبونها اليهم • • يتركون فيها لخيالهم العنان ، فيتصور من أحداثها ما يشاء • • فاذا لم يسعفه الخيال فانه يعمد الى بعض كتب التراث لينقل عنها ، فربما يضيف الى الحادثة ما يراه ملائما • • أو ينقص مما نقله شيئا ، لتأتى الأحداث بعد ذلك « محبوكة على مقاس » الدرويش • • لكن هذا الناقل ينسى أن للناس عقولا تستطيع بها أن تكشف زيفه وباطله •

وكتاب « سيدى ابراهيم الدسوقى » محشو بمثل هذه (الكرامات) بل ان فيه أشياء يتحرج الخيال أن يقولها ويحكيها • • • • • من ذلك ما يرويه الكتاب فيقول : كلف أحد الاغنياء الظلمة أحد مريدى القطب الكبير بحلج كمية من القطن دون مقابل ، فاعتذر له المريد بعدم الاستطاعة ، وظن أنه لو أخبره بأنه من أتباع الشيخ الدسوقى فانه ينصرف عنه ، أو يخفف عنه تكريما للشيخ الكبير • • لكن الرجل كان قاسيا ظالما لا يعترف بولى ، فكانت النتيجة عكسية ، اذ زاد له الرجل فى الكمية المطلوبة ، وطالبه بحلجها فى أسرع وقت قائلا : ادع شيخك يساعدك • فعاد المريد منكسر الخاطر يائسا ، فرأى الشيخ وهو يقول : قد حملنا حلج القطن عنك • فلما استيقظ وجد القطن محلوجا •

ولن نناقش امكان حدوث ذلك من الدسوقى بالنسبة لمريده أو عدم امكانه ، ولكننا سنبين مدى التزييف الموجود فى هذه القصة حتى يستشعر القارىء أنها مختلقة .

فالمعروف أن القطن لم يزرع فى مصر الا فى أيام ولاية محمد على عام ١٨٠٥ ، حين اكتشف زراعته أحد المهندسين الاجانب الذين استبقاهم محمد على بعد الحملة الفرنسية على مصر . . وكانت الناس تنظر اليه على أنه « نبات للزينة » . . فجاء هذا المهندس وطوره من الناحية العلمية ، وأقنع محمد على بزراعته فى مصر . . . أما وجه الكذب الموجود فى القصة . . فهو أن « المعجزة الدسوقية » تؤكد الى وجود زراعة القطن بكميات هائلة فى مصر قبل هذا التاريخ ، وأنه كان موجودا أيام الدسوقى . . والدسوقى كما قالوا فى هذا الكتاب ولد بالديار المصرية فى سنة ٦٥٣ هجرية وهى التى توافق سنة ١٢٥٥ ميلادية . ومعنى ذلك أن القطن كان موجودا فى مصر منذ ٥٥٠ عاما . . فهل نكذب التاريخ العلمى المؤكد الذى يقول : ان زراعة القطن لم تدخل مصر الا فى عهد محمد على عام ١٨٠٥ م . . أم نصدق ما قرره الدراويش من أن زراعة القطن كانت فى مصر قبل هذا التاريخ ؟

واسمع هذا التعليق الغريب من الدسوقى لمريديه عن هذه الحادثة يقول : « لو كان أحدهم — يقصد أتباعه — بالمشرق وأنا بالمغرب ، وضاقت عليه الارض برحبها وطلبنى لا يحجبنى عنه قبضة التراب الذى بينى وبينه فها أنا واقف بين يديه » . . . أى أن الدسوقى أقرب الى مريديه من حبل الوريد . . . واذن . . فلا بد أن يوقف الناس دعاءهم لله وتضرعهم له ما دام الدسوقى « سيجيب المضطر اذا دعاه » والدليل على ذلك . . حادثة حلج القطن .

وعن التبشير بظهوره وولايته قيل : ان العارف بالله « محمد بن هارون » كان من كبار العارفين بالله فى وقته بقرية « سنهور » بالقرب

من دسوق ، وكان اذا رأى والد ابراهيم الدسوقى قام له وعظمه . وعندما سألوه عن السبب قال لهم : ان فى ظهره وليا يبلغ صيته المشرق والمغرب ، ثم ما لبث أن ترك ذلك — يعنى القيام له — بعد حين فسئل : لماذا لا تقوم لأبى المجد وتعظمه كما كنت تفعل ، هل حدث بينكما شىء؟ فقال : ما كان القيام له بل كان لبحر فى ظهره وقد انتقل الى زوجته .

والمتتبع لكتب التراث يجد أن واضع هذه المعجزة اقتبسها بتصرف من كتاب « طبقات ابن سعد » الذى تحدث عن عبد الله والد رسول الله ، وكيف تعرضت له امرأة قرأت نور النبوة فى وجهه فقالت له : هل لك فى ؟ قال : نعم . حتى أرمى الجمرة . . فأقبل اليها فلم ير منها من الاقبال عليه كما رآه منها أولا . . فقال : هل لك فيما قلت لى ؟ فقالت : لست بصاحبة ريبة ، ولكنى رأيت نور النبوة فى وجهك فأردت أن يكون فى وأراد الله أن يجعله حيث جعله — أى فى آمنة بنت وهب زوجة عبد الله

لكن واضع تلك البشارة ، أراد بذكائه أن يغير نوعية الاشخاص ، ويضيف الى الاحداث شيئا من خياله . . فانكشفت اللعبة أكثر .

ومن معجزاته المزعومة ما يروى أنه عندما وضعته أمه فى الليلة التالية للتاسع والعشرين من شهر شعبان ، اتفق وقوع الشك فى هلال رمضان ، فقال ابن هارون : اذهبوا واسألوا عن مولود أبى المجد — ابراهيم الدسوقى — هل رضع فى هذا اليوم ؟ فأخبرت والدته من سألها من الناس بأنه من الأذان قد فارق ثديها ، ولم يرضع اطلاقا . وعند ما نقلوا ذلك لابن هارون أرسل من يقول لها : لا تحزنى فانه اذا غربت الشمس شرب . وعند ذلك أمر الناس بالامساك بقية اليوم .

والمتأمل لهذه المعجزة يجد أنها تدعو الى هجر سنة رسول الله الذى قال : صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان

ثلاثين يوما ... أما هؤلاء الدسوقية فانهم لا ينظرون الى قول رسول الله نظرة التسليم والرضا .. لكن شريعتهم وسنتهم هى الأخذ عن الدسوقى وهو فى المهد .. ولعلهم بذلك أرادوا أن يضيفوا اليه معجزة عيسى حين كلم الناس فى المهد ، لأن الدسوقى كلم بلسان الحال ، حيث صام فصام الناس تبعا لصيامه ... لكن الذى يحير حقا : هو كيف يكلف طفل بالصيام فيصوم عن ثدى أمه ويفطر عنـد الغروب ؟ وهل الشارع الحكيم كلف الأطفال بالصيام فى المهد ؟ ... لكنهم رغم هذا يقولون ان معلمه سأله لمـا كبر : هل كنت تدرى أنك صائم ؟ فأجابه : وهل يتقبل ممن يعبد الله على جهل . . . ويعنون بذلك أنه كان عالما مدركا لمـا يفعل وهو طفل .

ومما يروى عنه أنه كان ابن سبع سنين ، حين أمر سلطان مصر والده بالخروج من بلدته والهجرة الى بلد أخرى ، فلما رأى والده يشد أمتعته استعدادا للخروج سأله عن السبب ، فأخبره والده ، فذهب من الفور الى مقر السلطان ، وتمكن من الدخول عليـه ، فأشار اليه وهو يضع سبابته اليسرى على صـدغه وهو يقـول : أأنت أمرت والدى أبا المجد بالخروج من البـلد . . فأشار السلطان بالنفى وسط ذهول أفراد حاشيته وغضبهم . . فكرر السؤال ، فكرر السلطـان النفى . فقال سيدهم ابراهيم : احلف أنك لم تأمر والدى بالخروج من البلد . ولمـا حلف السلطان تركه وعاد الى والده . ثم سأل الوزراء السلطان وهم فى اسـتغراب من أمره : كيف تأمر وتنفى أنك أمرت أمام هـذا الصبى ؟ فقال السلطان : اننى والحمـد لله من أهل البصـيرة وأنتم لا تعلمون ، ألم تروه يضع سبابته على صدغه ؟ فقالوا : نعم . فقال السلطان : ان هذا الصبى كان يضع أصبعه فوق اسمى فى اللوح المحفوظ ولو قلت : نعم لمسح اسمى من ديوان الاولياء ، فخير لى أن أحنث فى يمينى وأكفره من أن يمسح اسمى من ديوان الاولياء .

واضح من القصة أن السلطان من الاولياء ، وأنه كذلك من أهل البصيرة ، وأن اسمه منقوش فى اللوح المحفوظ تحت هذا « البنـد »

• • لكن السلطان فى هذه المسألة لا يخرج أمره عن شيئين : اما أنه ظالم لأبى المجد والد الدسوقى حين يأمره بالخروج من بلدته • وعلى هذا فانه لا يصح لمثله ممن كانوا من أهل البصيرة وثبوت فى اللوح المحفوظ أنه من الأولياء أن يظلم رجلا مثل أبى المجد • • • واما أن أبا المجد قد ارتكب اثما يستحق العقاب عليه من السلطان باخراجه من البلد ، وفى هذه الاثناء فان تغاضى السلطان عن اخراجه من البلد مساهمة منه فى انتشار الاثم • وهذا أيضا لا يصدر ممن يكونون من أهل البصيرة ، ومثبوت فى اللوح المحفوظ أنه من الاولياء •

ثم ألا يعرف السلطان أمر الدسوقى الذى صام فى المهد وجرت على يديه كثير من المعجزات والكرامات وأنه يملك القدرة على مسح اسمه من اللوح المحفوظ ؟ ان السلطان من أهل البصيرة ، ولا بد أن يعر فـأرباب البصيرة أمثال الدسوقى فيجاملهم ولا يتورط فى اغضابهم الذى يسبب له الاذى •

وثمة اعتبار آخر • • كيف يكون اللوح المحفوظ تحت تصرف صبى عمره سبع سنوات يمحو منه ما يشاء ويثبت فيه ما يشاء ؟ ان كل مسلم لا يشك فى أن المحو والاثبات شىء اختص الله به نفسه (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) • • • ومع كل هذا فان هؤلاء الدراويش يصرون على أن لله شريكا فى كل أمر يأمر به •

هذا قليل من كثير مما يحتويه الكتاب وأمثاله من كتب «الدراويش» أما آن لعلماء الاسلام أن يهبوا هبة رجل واحد فيوقفوا هذا العبث بدين الله ؟

محمد جمعه العدوى

باب الفقه

يقدمه

أحمد فهمي أحمد

عودة الى موضوع التيمم

كنا قد تحدثنا عن موضوع التيمم فى عددى ربيع الاول وربيع الآخر ١٣٩٨ ، وفى عدد ربيع الآخر أوضحنا عدم جواز التيمم للمسافر مع وجود المـــاء ، الا أن بعض الاخوة الافاضل أبلغونا أنهم قرأوا فى بعض المراجع أن السفر يبيح التيمم على الاطلاق حتى مع وجود المـــاء عملا بنص الآية الكريمة (وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منـــكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا ..) من الآية ٤٣ من سورة النساء ومن الآية ٦ من سورة المـــائدة . وقد طلبوا اعادة الحديث فى هذا الموضوع بشىء من التفصيل .

واستجابة لهذه الرغبة فاننا نورد بعض الادلة على ما سبق أن قدمنا من بيان عدم شرعية التيمم للمسافر مع وجود المـــاء :

١ ــ حديث عمران بن حصين السابق ذكره بالتفصيل فى عدد ربيع الآخر ١٣٩٨ من المجلة فى مقال التيمم ، والذى يتضمن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على سفر مع بعض القوم ، وأمر رجلا أصابته جنابة وليس معه ماء أن يتيمم ويصلى ، فلما وجدوا المـــاء أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم اناء من ماء وأمره بالاغتسال . ففهم من هذا التصرف أن تيمم هذا الرجل قد انتقض بوجود المـــاء ، ولا يخفى أنهم كانوا جميعا على سفر (رواه البخارى ومسلم) .

٢ ــ عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى قال : خرج رجلان فى سفر ، فحضرت الصلاة وليس معهما ماء ، فتيمما صعيدا طيبا فصليا، ثم وجدا الماء فى الوقت ، فأعاد أحدهما الوضوء والصلاة ، ولم يعد الآخر ، ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرا ذلك له ، فقال للذى لم يعد : أصبت السنة وأجزأتك صلاتك • وقال للذى توضأ وأعاد: لك الاجر مرتين (رواه النسائى وأبو داود واللفظ له) •

ووجه الاستدلال بهذا الحديث أن هذين الصحابيين لو كانا يعلمان أن التيمم يبيح الصلاة أثناء السفر مع وجود الماء لما اجتهدا هذا الاجتهاد الموضح فى الحديث ، ولما عرضا الامر بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان التيمم جائزا لهما مع وجود الماء لأوضح لهما ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند عرض الموضوع عليه •

٣ ــ حديث عمرو بن العاص رضى الله عنه لما بعث فى غزوة ذات السلاسل قال : احتلمت فى ليلة شديدة البرودة ، فأشفقت ان اغتسلت أن أهلك ، فتيممت ثم صليت بأصحابى صلاة الصبح ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا له ذلك فقال : ياعمرو: صليت بأصحابك وأنت جنب ؟ فقلت : ذكرت قول الله عز وجل (ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما) فتيممت ثم صليت • فضحك رسول الله ولم يقل شيئا (رواه أحمد وأبو داود والحاكم والدار قطنى وابن حبان وعلقه البخارى ــ راجع هامش صفحة ٤٦ من عدد ربيع الاول ١٣٩٨) •

ووجه الاستدلال بهذا الحديث أنه لو كان التيمم جائزا للمسافر مع وجود الماء لكان ما فعله عمرو بن العاص أمرا عاديا ولما ذكره أصحابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو ذكروه ــ كما حدث ــ لما قال له صلوات الله وسلامه عليه (صليت بأصحابك وأنت جنب ؟) بل كان يقول لهم مثلا : وما الغرابة فيما فعله عمرو بن العاص ؟

٤ ــ عن على رضى الله عنه قال : جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر ويوما وليلة للمقيم يعنى فى المسح على الخفين (أخرجه مسلم وغيره) وعلق عليه صاحب سبل السلام بقوله : (والحديث دليل على توقيت المسح على الخفين للمسافر ودليل على مشروعية المسح للمقيم أيضا ، وعلى تقدير زمان اباحته بيوم وليلة للمقيم ، وانما زاد المدة للمسافر لانه أحق بالرخصة من المقيم لمشقة السفر) .

ونقول ان التيمم لو كان جائزا للمسافر مع وجود الماء فكيف يتفق هذا مع سنة المسح على الخفين الذى لا يكون الا مع الوضوء ؟

* * *

أما الآية الكريمة (وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا ..) فان ظاهر الآية يعلق جواز التيمم فى هذه الحالات جميعا على الشرط الاساسى وهو فقدان الماء ، فجاءت السنة النبوية المطهرة وتطبيق النبى صلى الله عليه وسلم لهذه الآية بصفته مبينا عن الله تعالى وموضحا لمراده ، ففصلت الامر وشرحته وبينت ما أدرج فى الآية من حكم ، كالادلة السابق ايضاحها .

أما القول بأن تأويل الآية هو (وان كنتم مرضى أو على سفر أو أحدثتم فلم تجدوا ماء) فانه تأويل فى غاية العجب لانه يساوى المريض والمسافر بالمحدث ، والمساواة بين المحدث وبين كل مريض أو كل مسافر لا يستقيم أبدا ، لانه يجعل مجرد السفر أو المرض مساويا للاحداث الذى هو الاصل فى وجوب التطهر ، لان المرض والسفر اذا لم يقترنا بالاحداث فلا محل لوضوء ولا تيمم ، وكان الاجدر أن يكون تأويل

الآية هو (وان كنتم مرضى وأحدثتم أو على سفر وأحدثتم فلم تجدوا ماء ..) .

هذا وقد علل بعض الفقهاء والمفسرين ذكر الله تعالى المرضى والمسافرين فى شرط التيمم باعتبار أنهم الاغلب فيمن لا يجد الماء ، أما الحاضرون فان الاغلب عليهم وجوده ، فلذلك لم ينص عليهم ، وعلى هذا فان كل من لم يجد الماء أو منعه منه مانع تيمم : المسافر بالنص والحاضر بالمعنى ، وكذلك المريض بالنص والصحيح بالمعنى (راجع تفسير القرطبى للآية ٤٣ من سورة النساء) .

* * *

ولما كان الله عز وجل يحب أن تؤتى رخصه فان النبى صلى الله عليه وسلم كان يبادر الى اتيان الرخص ليسن للأمة ، ولم يثبت أبدا أنه ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ صلى بالتيمم فى أى سفر مع القدرة على الماء ، بل الثابت عكس ذلك .

وعلى هذا فان القول بصلاحية التيمم فى السفر مع وجود الماء قول جانبه التوفيق لانه يخالف النص الصريح ، فضلا عن أنه يعتبر ردا لهذه الاحاديث الصحيحة التى أوردناها ، وخروجا على هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والله الموفق ، وهو الهادى الى سواء السبيل .

أحمد فهمى أحمد